ـ قل للحراس أن يحضروا ذلك الطبيب الأسود ، دكتور آدم رئيس العصابة ، وقل للحراس أن يأتوا ليشربوا الروم ماركة « كولينز » .

أحنى الرقيب رأسه كأنما ليؤكد بالفطرة نغمة الأمر ، ضرب الكولونيل الأرض بقدمه وأرعد :

ـ هيا اذهب ! اخرج .

كان صوت الرعد في السماء أقوى من صوت الكولونيل ، مما ضاعف الفزع في نفس كوزمو وجعله ينصرف عدوا .

كانت هناك رقرقات نسيم دافئة ، وبدا كأن المطر على وشك السقوط ، لكن الكتلة الرئيسية من السحاب راحت تعبر الفضاء نحو التلال المنخفضة ، بينما أخذ حشد متمرد من سحب أقل كثافة يتجمع فوق الصخور ، متتابعة متباطئة ، كأنما هي حشود تتجمع على الأرض ، آتية من حيث لا يدرى أحد .. ومهددة أساس النظام .

في نظرة طويلة رفع الكولونيل عينيه السوداوين الضاربتين الى الزرقة نحو السماء ، كأنما بنظرة واحدة سوف يشتت القوى المعادية ، لكنه في الحقيقة أحس بأنه جبان أمام عناصر الطبيعة ، ودار نسر منطلقا من عشه غائصا في حائط العاصفة ، أهمل الكولونيل خفقة في قلبه كرد فعل تلقائي ضد نفسه ، ثم خفض عينيه عائدا الى الشراب .

رفع الكأس ، لمس بها خده الأيمن الجاف ، ليشعر بالبلسم المهدىء للمسها الحريري ، وخرجت أنفاسه حارة من بين شفتيه ، كأنها تضرعات من أجل البركة .

انتبه الى صوت أقدام متثاقلة ، أحس بالقوة متوقعا قدوم الطبيب الأسود ، وظهرت مقدمة الموكب الصغير ، كأنما بزغت فجأة من باطن أرض الفناء ، وظهر دكتور آدم ، رجل نحيل متوسط الطول ، يبرق بياض عينيه في أعلى قامته التي تشبه أشباح الموتى ، ولون جاكتته الصفراء مضاء لوجهه الأنيق .

قال الكولونيل كلاما خبيثا ذا معنيين ، كلاما مكونا من تلك الألفاظ الشائعة في « ليفنجستون » :

ـ دكتور آدم ! أنا أخمن أن ...

لكن دكتور آدم لم يحركه الاستهزاء ولم ينطق بأية كلمة ، كل ما فعله أنه ظل واقفا حيث هو ، على بعد خمس ياردات من الحاكم ، ووقف